دراسة فنية لعناصر شعر الأطفال

الاستاذ المساعد الدكتور حسين محمديان
كلية الآداب والعلوم الانسانية/جامعة نيشابور
الاستاذ المساعد الدكتور حجت اله فسنقري
كلية الالهيات والمعارف الاسلامية/جامعة الحكيم السبزواري

الملخص:-

للشعر أهمية للأطفال لأنّه يربّي الإحساس و الذوق و ينشّط خيال الأطفال و يقوّي الحس الجمالي عندهم و يربّيهم على الأخلاق الحميدة و يلبّي حاجاتهم العاطفية إذ أدى دوراً بارزاً في نموهم العقلي و النفسي و الإجتماعي كما أنه يعطيهم ثروة لغوية عظيمة؛ فلذلك يجب على شعراء الأطفال رعاية عدّة شروط و خصائص في اختيارهم الشعر المناسب الموجّه للأطفال. و إنّ هذا البحث يرمي إلى دراسة أهم خصائص شعر الأطفال تحت عدة عناصر: الفكرة أو الموضوع، و اللّغة، و الموسيقى، و الصور و الأخيله دراسة تطبيقية في شعر عدد من شعراء الاطفال البارزين الذين كانت دواوينهم بين ايدينا مثل سليمان العيسى، و احمد السويلم، و جميل سلطان، و احمد نجيب على أساس المنهج الوصفي . التحليلي.

و من أهمّ النتائج التي توصّلت اليها هذه الدراسة هي: على الشاعر أن يختار أفكارا و موضوعات تُناسب هدفاً نتوخاه لأطفالنا لأن هذه السنّ سنّ تنشئة و تربية. يجب أن تكون لغة شعر الأطفال فصيحة خالية من الكلمات غير المألوفة بل ان تكون من المفردات التي تقترب من حصيلة الأطفال اللغوية. يجب أن تكون موسيقى الشعر خفيفة هادئة و سهلة تشوّق الأطفال وتطرب مسامعهم. يجب ان تكون الخيال في شعر الطفولة قريبة من مدارك الأطفال و أن تكون الصور الشعرية بسيطة حسّية.

كلمات مفتاحية: شعر الأطفال، الفكرة، اللغة، الموسيقى، الخيال والصور الشعرية.

تاريخ الاستلام: ٢٠٢١/٠١/٢٠　　**تاريخ القبول:٢٠٢١/٠٣/٢٢**

Technical Study of Children's Poetry

Assist. Prof. Dr. Hussain Mohammadian
College of Arts and Humanities/University of Nishapur
Assist. Prof. Dr. Hajjet Elah Fsanqari
Faculty of Theology and Islamic Knowledge / Hakim Sabzwari University

Abstract:

Poetry is very important for children as it fosters their feelings, taste, and imagination, enhances their aesthetic sense, trains them to follow good ethics, satisfies their emotional needs, plays a crucial role in their mental, intellectual and social development and finally it provides them with a valuable repertoire of vocabulary. Therefore, poets writing poetry for children should comply with some principles concerning composing appropriate poems for children. This study using a descriptive-interpretive framework intends to analyze the characteristics of children's poetry in terms of thought (content /theme), language, music, and imagery in the works of some eminent poets like Soleiman Al-Eesa, Ahmad Al-Swailem, Jamil Soltan, and Ahmad Najib. The most significant results of this research are as follows: Children's poets should select thought and themes which are in line with the purpose of training and building a future for children.
The language of children's poetry should be eloquent (formal) and free from jargoned vocabularies, and be close to children's vocabularies.
The music of children's poetry should be taken from light rhythms, be rhythmic, ear pleasing and refreshing
Imagery in children's poetry should be appropriate for their understanding and it should have simple and sensual imagery.

Keywords: Children's poetry, theme, poetic language, music, imagery**.**

Received:20/01/2021 Accepted: 22/03/021

المقدمة:-

إن الكتابة للأطفال-عموماً- عملٌ محفوفٌ بالصعاب و لعلّ الشعر أكثرها صعوبةً نظراً لما يتطلّبه من رؤيةٍ و خبرةٍ، و مراعاةٍ للإعتبارات التربوية و الفنية، و تمرّسٍ بالتعامل مع الأطفال أسلوباً و سلوكاً و فكراً. بعبارة أخرى يمكن القول بأن لهذه الكتابة تأثيراً مباشراً وغير مباشر على الطفل وذهنه. درسنا الشعر في هذا المقال من بين أنواع فنون الأدبية للأطفال لأنَّه « يحتلّ مكانة متميّزة عن الفنون الأدبية الأخرى و لعلّه يكون أكثر قدرة على تصوير التجارب النفسية ففيه النغم الصوتي و الصور الفنية و النسيج اللفظي و البناء الفكري للمقطوعة الفنية» (داود، ١٩٩٣: ٩٠). قد جاءت معايير اختيار الشعر للأطفال فى بعض كتب أدب الأطفال مثل "ادب الأطفال دراسة و بحوث" لحسن شحاتة، "ادب الأطفال علم و فن" لأحمد نجيب، "ادب الأطفال في البدء كانت الأنشودة" لأنس داود و ... و لكن هذه المعايير لم تقوّ بنماذج هامة من شعراء الأطفال المتخصصين.

هذه الدراسة تبحث عن أهمّ الخصائص و الأسس و المعايير التي يمكن في ضوئها إختيار الشعر للأطفال و تقصد الإجابة إلى هذا السؤال: "ماهى أهم خصائص شعر الأطفال من خلال عناصره الأدبية" و تتبّع في هذا البحث المنهج الوصفي . التحليلي. هذه المقالة تتحدّث عن شعر الأطفال و عناصره و أهمّ خصائصه ثم تأتي بنماذج من أناشيد و أغاني الأطفال للمبرّزين في شعر الأطفال الذين اشتهروا بجودة اشعارهم الطفولية مثل سليمان العيسى، و أحمد السويلم، و جميل سلطان، و احمد نجيب و... هذا و قد طبّقنا المعايير بتلك النماذج.

أهمية شعر الأطفال:

«الشعر بالنسبة للأطفال مهمّ لأنّه يثري الخبرات و يزيد من التجربة و يربّي الإحساس و الذوق و يضفي كثيرا من الصور الجميلة و الرؤى العذبة على صور التعبير و ينشط خيال الطفل و يساعده على اكتشاف جمال المنظر و التعمّق في الإحساس به» (الحديدى، ١٩٨٩: ٢٠٠ . ١٩٧ نقلاً عن بريغش ١٩٩٦: ٢٣٤). «و الشعر بما فيه من موسيقى و ايقاع و صور شعرية تخاطب الوجدان و تثير في النفس أحاسيس الفن و الجمال يعدّ ا أقرب ألوان الأدب إلى طبيعة الذوق لأثره على انفعال الوجدان» (نجيب، ١٩٩١: ١٥٠). «و الطفل يميل فطريّا للشعر و الغناء لذلك ينبغي إستغلال هذه الظاهرة لصقل ملكات الطفل و تقوية الحس الجمالي عنده و تربيته على شتى الإتجاهات الحميدة و الآداب الفاضلة مع تلبية حانب من حاجاتهم العاطفية و يسهم في نموّهم العقلي و الأدبي و النفسي و الإجتماعي و الأخلاقي» (بريغش ١٩٩٦: ٢٣٤).كذلك يعتبر الشعر وسيلة من وسائل تنمية الثروة اللغوية لدى الطفل بما يحمله من كلمات جديدة و عبارات جذّابة و تراكيب جميلة فيتّسع القاموس اللغوي كما يعدّ شعر الأطفال وسيلة لإيقاظ العواطف و المشاعر و الأحاسيس النبيلة كحبّ الوالدين و الأصدقاء و العطف مع الفقراء و إعلاء روح الإنتماء» (كنعان، ١٩٩٩: ١٦٨).

أشكال شعر الأطفال:

«يتّخذ الشعر في طريقه إلى الأطفال أشكالا شتّى: فقد يكون على شكل أغنية أو نشيد أو أوبريت أو استعراض غنائي أو مسرحية شعرية أو قصّة غنائية. و الفرق الأساسي بين الأغنية و النشيد أن الأولى يتغنّى بها على حين أن الثاني يغلب عليها طابع الإنشاد و اما الأوبريت فإنّه عرض مسرحي غنائي تصاحبه بعض الحركات التي يغلب أن تكون ايقاعية منظمة و هو في الغالب غنائي ملحن تصاحبه الموسيقى من أوله الى آخره و الإستعراض الغنائي شيء شبيه بهذا إلّا أنّ طابع الحركة فيه يكون أوضح من الأوبريت كما أنّه يخلو عادة من الكلام الذي لا تصاحبه موسيقى أمّا المسرحية الشعرية فيغلب عليها الإلقاء التمثيلي و القصة الغنائية تحكي قصة قصيرة من خلال شعر ملحن يتغنّى به» (نجيب، ١٩٩١: ١٥٠-١٥١). و في هذا المقال نعرض للأشكال الأكثر تمثيلا لأدب الطفولة في الشعر و هي الأناشيد و الأغاني.

«و الأناشيد الطفولية هي قطع شعرية قصيرة تتميز بعذوبة النغم و سحر الإيقاع و جمال الألفاظ و بساطة الكلمات (مارون، ٢٠١١: ٢٤٣) و هي اللون الأدبي الذّي يجعل الصغار يحسّون بجمال اللغة و جمال الصورة و جمال التعبير» (المصدر نفسه:٢٤٧). إن دقّقنا النظر في أدب الأطفال و الكبار عامةً و خصوصاً الشعر لوجدنا بين الأدبين فروقاً و نعرض هذه الفروق تحت عدة عناصر: الفكرة أو الموضوع او المضمون، و اللغه، و الموسيقى، و الصور و الأخيلة فيما يلى:

الفكرة او الموضوع:

من المهم العناية بالفكرة التي يدور حولها الشعر واختيارها بدقة وتأني بحيث «أن تكون الفكرة بسيطة ذات مغزى أو هدف تربوي تتناول المعاني الحسية» (داود، ١٩٩٣: ٩٦)؛ يجب «أن يحمل الشعر أفكارا و قيما تمدّ الأطفال بالتجارب و الخبرات و تجعلهم أكثر إحساسا بالحياة و أن تكون تلك الأفكار واضحة يستطيع الطفل أن يدركها» (الهيتى، د.ت: ٢١٦) «ليس في الوسع تحديد مضامين أدب الأطفال لكنّنا نستطيع أن نحدد إطارا عاما كأن نقول إننا نصور للطفل الحياة الانسانية و نعبّر له عنها بما يتلائم قدراته بحيث نساعده على النمو السّوي؛ نجد أن بعض المعنيين بهذه الشؤون يؤكدون أنّ كلّ شيء ينبغي أن يقدّم للأطفال لأنّ العبرة فقط بأسلوب التناول و العرض» (المصدر نفسه: ٨٦) على أي حال « على شاعر الأطفال أن يختار افكارا و موضوعات تتناسب أهدافا نتوخّاه لأطفالنا لأنّ هذه السنّ سنّ تنشئة و تربية و بناء و كلّ كلمة تنقش أثرا لها في نفس الطفل و ذهنه و في ذوقه أو سلوكهم» (بريغش، ١٩٩٦: ٢٣٤)؛ منها:

إعدادهم لتحمّل مسؤولية الغد بعزيمة و وعي- تربيتهم تربية أخلاقية- إلتزامهم بالأنماط السلوكية التي تقوم على الحبّ و العدل و المساواة- تسلية الأطفال و إمتاعهم و إدخال الفرح إلى نفوسهم- تنمية إعتزاز الأطفال بالوطن- إتساع ثروة الأطفال اللغوية- إرهاف الحسّ الجمالي لدى الأطفال و تشويقهم الى الروائع الفنية- إتّساع مدارك الأطفال و ازدياد معارفهم و معلوماتهم و... (الهيتى، د.ت: ٨٦-٩٦ بالتلخيص)

و تجدر الإشاره في هذا المجال بأن علينا ان نفرق بين الشعر الموجّه للأطفال و الشعر الذي يتّخذ الطفل موضوعا له و يتحدّث عن الطفولة دون أن يكون موجها للأطفال؛ على سبيل المثال الشاعر السوري "ممدوح السكاف" يتحدّث عن أولاده الثلاثة معبّرا عن حبّه لهم :

« ولدي الأوَّلُ كانَ صبيّاً أسمرَ
كالحِنطةِ في بَلَدِي
سَيَشِبُّ و يُصبحُ طيّاراً بطلاً
و يدافعُ عن بلدي
-حسناً ولدي
-حسناً ولدي
ولدي الثّاني كانَ صبيّاً أشقرَ
في لونِ الشّمسِ
سَيشِبُّ و يُصبحُ بَنّاءً نشيطاً
و يُعمّرُ لي بلدي
-حسناً ولدي
- حسناً ولدي»

(مارون،٢٠١١: ٢٥١-٢٥٢).

«موضوعات شعر الأطفال كثيره و متعددة شريطة أن لا تتحول إلى نظم بارد يقرّر بعض الحقائق و يقدّم بعض المعلومات فقط. و المهم في ذلك أن ياخذ الشاعر عند اختيار موضوعاته إحتياجات الأطفال و اهتماماتهم و أن يكون مناسبا لهم من حيث الموضوع و المزاج و الاسلوب بحيث يؤدّي دوره في تربيتهم عقديا، و خلقيا، و سلوكيا، و فكريا» (بريغش، ١٩٩٦: ٢٣٤). مثلا الشاعر "احمدالسويلم" في الأبيات التاليه من نشيد" حبّ الله " يفتح أذهان الأطفال على الكون و عظمة الخالق و على الحياة و تنوّعها:

إنّي أُحِبُّ اللهَ و أبتغي رِضاه
قُدرتُه مِن حَولِنا في جِسمِنا و عَقلِنا
في خَلقِه الطُّيورْ و الماءَ و الزُّهورْ
و الشَّمسَ و القَمَرْ و الرَّملَ و الحَجَرْ (السويلم، د.ت: ٥)

او الشاعر "سليمان العيسى" في نشيد " للجميع " يفتح أذهان الأطفال إلى ما يهمّهم من علاقات اجتماعية مثل الوحدة و طلب الحسنات و الخيرات للجميع:

النُّورُ لِلجميعْ و الحُبُّ لِلجَميعْ
مِن زَهرَة بِعَينِها لا يُصنَعُ الرَّبيعْ
تَسانَدي تَسانَدي يا وَحدَةَ السَّواعِدِ
غِلالُنا الخَضراءْ

و الخيرُ و العَطاءْ

لابُدَّ أن يَكونَ لِلجَميعْ (العيسى، ٢٠٠٥: ١٢)

و كما قال سليمان العيسى نفسه: « هو يقصد الفكرة النبيلة الخيّرة التي يحملها الصغير زادا في طريقه و كنزا يضيء و يشعّ» (المصدر نفسه: ٨) احمد السويلم في النشيد التالي يريد أن يساعد الأطفال على عقد صلة المودّة و الألفة مع البيئة بما فيها من نباتات و زهور:

لا أقطَعُ مِن غُصنٍ زَهرَه　　لكنّي أهواها نَضِرَه

أرعاها حتّى تَتَفَتَّح　　و شَذاها في قَلبي يَسبَحْ (السويلم: ٢٦)

و من المفضل أن لا تكون الفكرة طويلة جدّا لايستطيع معه الأطفال التركيز فيها و الإستيعاب لمضمونها. قد يتناول الشاعر أفكارا مناسبة مع عدم الإختيار المناسب للعناصر المكوّنة لبنى القصيدة كأن تكون اللغة مرتفعة او الصور معقّدة فلذلك على الشاعر ان يراعي سمات اخرى فيما يلي:

اللغة

يجب « أن تكون لغة شعر الأطفال لغة عربية فصيحة بسيطة خالية من المفردات غير المالوفة بل أن تكون المفردات من معجم الطفل تتناسب أفكاره» (داود، ١٩٩٣: ٩٦). و ينبغي « ان يتجانس اللفظ مع المعاني يعني أن يكون اللفظ رقيقا في المواقف الرقيقة، و أن يكون قويا في المواقف القوية.. و ان يتناسب اللفظ مع المعنى بعيدا عن الحشو المخل و القصور الذي لا يفي بالمعنى» (الهيتي، د.ت: ٢١٥) حين نقرأ نشيد "ماما" من سليمان العيسى:

ماما ماما

يا أنغاما

تَملأُ قَلبي

بنَدَى الحُبِّ

أنتِ نَشيدي

عيدُكِ عيدي

بَسمَةُ أُمّي

سِرُّ وُجودي

نجد أنّ الشاعر نقل هذه الأفكار والأحاسيس النبيلة عن أقرب و أعزّ الناس للطفل في سهولة و بساطة و بأدقّ العبارات فجاءت الألفاظ دقيقة، قوية الإيحاء، مشحونة بالأحاسيس و العواطف التي تجعلها مؤثرة في النفس، و ذلك يجسّد قول الشاعر تطبيقياً « أنه يحرص أن يكون في النشيد الذي يكتبه للصغار اللفظة الرشيقة الموحية، الخفيفة الظل، البعيدة الهدف التي تلقي ظلالاً وألواناً وتترك أثراً عميقاً في النفس» (العيسى،٢٠٠٩: ١١). يفضل « أن تستغل أغاني و أناشيد الأطفال قدرات اللغة الصوتيي بل و ان تحكى اصوات الطيور و الحيوانات» (داود، ١٩٩٣: ٩٦) لأن استعمال أصوات الحيوانات و أحاديثها يضفي على الشعر جوا محبّبا إلى نفس الطفل:

في بَيتي عُصفور ذَهَبيُّ المنقار
في الصُّبحِ و في النور يَشدُو بِالأشعار
صَوصَو.. صَوصَو صَوصَو..صَوصَو

***

في بيتِ الجيران ديك مَسحور
يَصحو عند الفَجر و يُبَشِّرُ بالنّور
كو كو..كو كو كو كو.. كو كو (داود، ١٩٩٣: ١١١)

و على شاعر الأطفال أن يستخدم التدرج في زيادة خبرات الطفل و مفردات جديدة على شرط أن تساعد العبارة أو التركيب على فهمها و إيضاحها؛ مثلا يقول سليمان العيسى في أنشودة "وطني":

وَطَني أشجارٌ و ظِلالُ
و تُرابي قَمحٌ و غِلالُ
أَتَفَيَّأُ ظِلَّك يا وطني
و أُحِبُّ تُرابِك يا وطني
أَرضُ الأَجداد
وَطَنُ الأَمجاد
يَتَسَلَّحُ بالعِلمِ
لا يرَكعُ لِلظُّلمِ
عاشَ اليَنبوُعُ المُنسَكبُ
عاشَت شمسٌ لا تَحتَجِبُ (العيسى، ٢٠٠٥: ١٣)

و على الشاعر الإعتماد على التكرار و التوكيد على بعض الكلمات أو العبارات" لأن هذا التكرار يروق للأطفال و يمثل رابطاً خفيّاً بين نفوسهم و بين الأنشودة" (داود، ١٩٩٣: ٩٤) و من صور هذا التكرار ما جاء في أغنية " و تبقى نبضة الحب " لسليمان العيسى الذي يقول:

و إنّي أَحمِلُ الدُّنيا بِقلبي أَحمِلُ الدُّنيا
أُحِسُّ النّاسَ في قلبي مَعاً نَسعَى .. معاً نَحيا (العيسى،٢٠٠٩: ٩٤)

او ما جاء في نشيد"ازرع ليأكلوا"

ما أَجمَلَ العَطاءْ
تَسمُو به الحَياةْ
تَحلُو به الحياةْ
يا دَوحَةً تُعطِي الثَّمَرْ
يا غَيمَةً تُعطِي المَطَرْ
و يَسكبُ الضَّوءَ القَمَرْ

ما أَجمَلَ العَطاءْ (العيسى،٢٠٠٩: ٩٦)

حيث تكرر الشطر الأول كما يلاحظ و قد جاء للتحريض على الجود و العطاء و في مثل هذه التكرارات اضافة الى توكيد المعنى نحس ارتفاع الإيقاع الموسيقي.

الموسيقى

على شاعر الأطفال أن يختار الوزن الموسيقي الخفيف الذي لا يتجاوز ثلاث كلمات او أربعا في كل بيت من بيت النشيد. (العيسى، ٢٠٠٩: ١٢) على شعراء الأطفال أن يجتنبوا من استعمال أوزان طويلة لا تناسب المرحلة التي توجّه لها القصيدة كاستعمال المتقارب التام (فعولن فعولن فعولن فعولن) في مرحلة الطفولة المبكرة. « يجب أن تكون القصيدة من البحور الشعرية ذات التفعيلات القصيرة مثل بحر الهزج و الرجز اللذان تميّزت ايقاعاتهما بالإيقاع المؤثّر و الموسيقى المرقصة و الجذلة» (مارون، ٢٠١١: ٢٧٠).

« لابدّ أن يكون الإيقاع سريعا و لذلك يعمد أصحاب الأناشيد و الترانيم إلى البحور القصيرة مثل الهزج او البحور المجزوءة لتثمر هذا الإيقاع السريع» (داود، ١٩٩٣: ٩٤). «و إذا حاولنا أن نتّبع البحور التي يكثر استعمالها في شعر الأطفال نجد أنّها تتميّز بالقصر و بأنها ذات ايقاعات سلسة متميزة» منها: (نجيب، ١٩٩١: ١١١) الكامل و هو يأتي عادة مجزوءا بحيث يقتصر على تفعيلتين في كل شطر (مُتَفاعِلُن مِتَفاعِلُن/ متفاعلن متفاعلن:

خَرَجَ الرِّفاقُ بِصُحبتي يَلهُونَ في ضَوءِ القَمَر

في زورقٍ يَجري بنا يَختالُ في عَرضِ النَّهَر (نجيب، ١٩٩١: ١١٢)

الرجز: هذا البحر يتميز بالسهولة الشديدة التي تجعله من أقرب البحور الشعرية إلى النثر(مُسْتَفْعِلُن مستفعلن/ مستفعلن مستفعلن:

حَمداً له في كلِّ حينْ نَعبُدُه و نَستَعينْ

رَبِّ السَّماءِ العاليهْ ربِّ المِياهِ الجارِيهْ

في كلِّ شيءٍ قُدرتُه في كلِّ نفسٍ حِكمَتُه (السويلم: ٤)

الرمل:فاعلاتن فاعلاتن/فاعلاتن فاعلاتن:

نحنُ عُشّاقُ الأغاني نحن أربابُ الوَتَرْ

إسمَعونا و احمِلونا فَرحَةً بينَ البَشَرْ (العيسى، ٢٠٠٩: ٦٧)

مِلءُ ديوانِك أَشياءُ جميلَهْ

كلُّه يُفرِحُ يَستَهوِي الطُّفولَهْ

شاطِئٌ حُلوٌ و بَحرُ

و بَساتينُ و زَهرُ

و صِغارٌ يَمرَحُونْ (العيسى، ٢٠٠٥: ٢٦)

المتدارك و هو بحر ذو وزن رقاص يناسب أناشيد و أغانى الأطفال و كثيراما يستفيد شعراء الأطفال عن صورة البحر المتدارك التي يدخلها التشعيث و التي تتحول فيها فاعِلن الى فَعلُن

بابا بابا يومُك طابا

دُمتَ رَبيعاً دُمتَ شَبابا (العيسى، ٢٠٠٥: ٥)

عِندي قُدرَهْ عِندي خِبرهْ

أَسبِقُ غَيري مِثلَ الطَّيرِ (السويلم: ٤٠)

لذلك نرى اقبال الشعراء على نظم الأغانى و الأناشيد على مجزوءات البحور توخّيا للتطريب و السهولة و البساطة لاسيما ان تلك الأناشيد تختص بالأطفال ضمن مراحل عمرية معينة. سليمان العيسى في الأغنية التالية المسماة ب"نحن البهجة .. نحن الدار" يقول:

إنّا نَلعَبُ...

إنّا نَمرَحْ...

كلُّ طُيورِ الرَّوضَةِ تَمرَحْ

ثُمَّ تُغَنّي... ثُمَّ تَطِيرْ

نحنُ نُغَنّي... نحن نَطِيرْ

نَملَأُ بالضَّوضاءِ الدّارْ

تَرقُصُ فَرَحاً فينا الدّارْ

نحن البَهجَةُ... نحنُ الدّارْ (العيسى، ٢٠٠٩: ١١٧)

كما نرى جاء هذه الأغنية على بحر ملىء بالحيوية و الموسيقا الرنانه و المتميز بإيقاعاته السريعة إضافة الى تكرار بعض الكلمات مثل الدار و جناس الإشتقاق كلها عوامل مهمه فى إيجاد هذا الجو الموسيقي الذى يوجد شعورا بالفرح و السرور قد تدفع الأطفال الى الرقص و الإهتزاز كما قال سليمان العيسى«كأن الأولاد قد ألفوا جوقة موسيقية و انطلقوا في باحة الدار الواسعة يغنّون و يرقصون» (العيسى،٢٠٠٩: ١١٧)

الصور و الأخيلة

« أسلوب التعبير الشعري يتّخذ من التعبير عن طريق الصورة أسلوبه المفضل و إذا كان النثر يتخذ من اللفظة أداة التعبير فإنّ الصورة ذاتها هي الأداة التعبيرية في الشعر» (نجيب،١٩٩١: ٩٨). تعدّ الصور الفنية من السمات المتميزة للقصيدة الشعرية لما لها من أهمية كبيرة في صياغة الشكل الجمالي للفكرة حيث يكتمل هذا الجمال بنموها و تفاعلها و هي إحدى الوسائل القادرة على مخاطبة إحساس المتلقي. «و قد كان للخيال في أشعار الأطفال دور حيوي و فعال و أهمية كبيرة لكونه يجسّد الفكرة في لوحة فنية زاهية الألوان» (الصباغ، ١٩٩٨: ٣٤٠). «للخيال وظيفة بيولوجية و رييسة إذ أنّه يتيح للطفل أن يكون لنفسه صورة مستقبلية و أن يتطابق مع هذه الصورة و بالتالى أن الصورة تشكل عاملا حيويّا في البناء الفني للشعر إذ تجمع بين الصوت و الحركة و الموسيقى» (صبيح، ١٩٨٥: ١٤٥)

أن الخيال الأدبي يمكن لصاحبها أن يبصر و يسمع و يتذوّق و يشمّ و يلمس بعقله مالا يستطيع الإحساس به عن طريق حواسه مباشرةً، لذا «كان الخيال، وسيلة لاكتساب الثقافة، و أسلوباً لتجسيد عناصرها الفنية فالوقائع و الأحداث، والأفكار والمفاهيم، هي في حدّ ذاتها جامدة، لكنّ الخيال يبعث فيها الحياة، و

يمنحها أبعاداً، و يصوغها في هياكل، و يُلبسها أرديةً قشيبةً، و يُظهرها بالشكل الجديد» (الهيتي، ١٩٨٨: ٧٨) يعُدّ الخيالُ في العمل الأدبي عنصراً و معياراً تقاس به جودة النصّ لأن الشعر لا بدّ له « من قدْرٍ من الخيال يتفق مستوى النمو الخيالي للأطفال، و يزيد في الوقت نفسه من مستوى ذلك النمو و قد أثبتت الدراسات أن الأطفال يُقبلون على الصور الخيالية أكثر من إقبالهم على الصور الواقعية» (المصدر نفسه: ٧٩) « الصور الخيالية تساعد على تنمية الذوق الأدبي بحيث لا تثقله الصور المعقدة فشيوع الخيال المبدع و المنشىء ابرز ما يميز المعاني في الشعر انها تنقل الأطفال الى آفاق رحبة شريطة ان تكون تلك الخيالاتن مستندة الى حواس الأطفال و مرتبطة بالخبرات التيعاشها حتى تنمى في الأطفال الإيجابية و روح الإبتكار» (شحاته، ١٩٩٤: ٢٣٠).

تجدر الإشارة هنا إلى أن أناشيد الأطفال بمختلف مستوياتها العمرية لا تحتمل مزاحمة الصور البلاغية له لأنّها تتّسم بالقصر و الخفة و لكن هذا الأمر لايعني عدم استخدامها و أنما ضرورة التبسيط في الصياغة الشعرية.

« و إذا كان الخيال في المضمون الأدبي يتّضح من خلال تركيب عناصر فكرية في عنصر جديد غير موجود في الواقع فإن الخيال في اللغة يتّضح عند استخدام الأديب التشبيه و الاستعارة و المجاز او غيره من فنون صناعة و صياغة الكلام مثل الجناس و الطباق» (الهيتي، ١٩٨٨: ٧٩). و من الأمثلة الحيّة على عوامل تكوين الصورة الشعرية و حضورها الفني في أناشيد الأطفال النص الشعري التالي للشاعر سليمان العيسى في نشيد" مدينة الأطفال" الذي يحاول من خلاله أن يشكل صوره الجميلة فى وصف طريق المدينة الساحرة التي سيأخذهم اليها:

نَجتازُ في النَّهارْ
جِسراً مِن قَوسِ قُزَحْ
تَسحَرُك الأَلوانُ الحُلوَةْ
ما أَروَعَهُ... قوسُ قُزَحْ! (العيسى، ٢٠٠٩: ١٠٠)

الشاعر عمد الى تشبيه قوس قزح بجسر ليحمل صوره و معانيه تأثيرا عظيما يلفت نظر المتلقي. هذا الشاعر يقول في نشيد "أمي":

مَلَك يَرِفُّ على سَريري
يَحنُو بِأنفاسِ العَبيرِ
سِرُّ الإلهِ بِمُقلَتَيهِ
و نَعيمُه في راحَتَيهِ (العيسى، ٢٠٠٥: ١٦)

الشاعر استعار الملك لأمّه الحنون و هو الاستعارة التصريحية هي التي أعطت للشعر جماله و حسنه.

او أتى هذا الشاعر باستعارة مكنية جميلة في كلمة "حبّا" حيث شبه الحب ببذر تزرع و الطفل يستلذ من هذه الصورة الحسية:

نحنُ نُغَنّي.. نحنُ نَطيرْ

نَزرَعُ حُبّاً كيفَ نَسِيرْ(العيسى، ٢٠٠٩: ١١٧)

او الشاعر "جميل سلطان" في قصيدة " نحن و النحل" لبيان ربط العمل بالمكافأة يستخدم صورا شعرية جميلة و يقول:

النَّحلَةُ المُبَكرَةْ تطوفُ حولَ الزَّهَرَهْ

خارجةً مِن مَعمَلٍ لروضةٍ منُحَدِرَهْ

ساعيةً عامِلةً عن ساقِها مُشَمَّرَهْ

و نحن نمضي في الصَّبا حِ للدُّروسِ بَرَرَهْ

نَكسبُ في العلمِ و في الرِّضا ءِ خيرَ ثَمَرَهْ

لِلنَّحلِ شهدٌ و لنا في كلِّ درسٍ سَكَرَهْ (مارون،٢٠١١ : ١٠٩)

مثل هذه الأشعار تجعل الأطفال « يحلقون في الخيال متجاوزين الزمان و المكان عبر الماضى و المستقبل» (شحاته، ١٩٩٤:٢١)

النتائج:

١-على الشاعر أن يفهم و يدرك عالم الطفل و مدركاته و احتياجاته قبل أن يكتب إليه حتى يتهيأ له اختيار الألفاظ و العبارات و الموضوعات و الإيقاع المناسب.

٢-يجب أن تكون لغة شعر الأطفال فصيحة خالية من الكلمات غير المالوفة بل أن تكون من المفردات التي تقترب من حصيلة الأطفال اللغوية.

٣-يجب أن تكون موسيقا الشعر خفيفة هادئة وسهلة تشوق الأطفال وتطرب مسامعهم فالقوافي اللطيفة السلسة تدفع الطفل إلى الحفظ وسهولة التذكر.

٤-التركيز على فكرة معينة دون إفاضة و إكثار و اعتماد الأسلوب المباشر في الطرح و الدقة والمعالجة و أن تكون الأشعار قصيرة و سهلة الفهم و الإستيعاب.

٥-أن يكون الشعر المقدم لأطفال مرحا جذابا مليئا بالحيوية والإشراق و قادر على إثارة العواطف الرقيقة.

٦-الإعتماد على طرح المعاني الحسية القريبة من تناول الأطفال و البعد عن المجردات التي يصعب إدراكها و فهمه

٧-الإعتماد على التكرار الذي يركّز على بعض المعاني والألفاظ التي يسهل إدراكها و نطقها.

٨-أن يكون الشعر قادر على إثارة خيال الطفل وتنمية قدرته على التصور والتفكير والبحث.

٩-يجب ان يكون الخيال في شعر الطفوله قريبه من مدارك الأطفال حسب مراحلهم العمرية و ان تكون الصورة الشعرية بسيطه جميلة تؤخذ حينا من واقع الأطفال و حياتهم و حينا من أحلامهم وأمانيهم.

المصادر والمراجع:

بريغش، محمد¬حسن، (١٩٩٦ م / ١٤١٦ ه)، «أدب الأطفال أهدافه و سماته. الطبعة الثانية»، بيروت، مؤسسة الرسالة.

الحديدى، على، (١٩٨٩ م)، «في أدب الأطفال. الطبعة الخامسة»، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية.

داود، أنس، (١٩٩٣ م)، «أدب الأطفال في البدء كانت الأُنشودة»، القاهرة، دارالمعارف.

السويلم، احمد، (دون.تا)، «ديوان الطفل العربي- قصائد للأطفال»، الدار الثقافية للنشر.

شحاتة، حسن، (١٩٩٤ /١٤١٤ ه)، «أدب الطفل العربي دراسات و بحوث، الطبعة الثانية»، القاهرة، الدار المصرية اللبنانية.

الصباغ، رمضان، (١٩٩٨ م)، «في نقد الشعر العربي المعاصر. الطبعة الأولى»، الإسكندرية، دار الوفاء لدنيا الطباعة و النشر.

الصبيح، ابراهيم محمد، (١٩٨٥)، «الطفولة في الشعر العربي الحديث»، الطبعة الأولى، قطر، دار الثقافة.

عبدالفتّاح، اسماعيل، (٢٠٠٠ م / ١٤٢٠ ه)، «أدب الأطفال في العالم المعاصر»، الطبعة الأولى، القاهرة، مكتبة الدار العربية للكتاب.

العيسى، سليمان، (٢٠٠٥ م)، «ديوان الأطفال (كتاب في جريدة اصدرته منظمة يونسكو)»، عدد٨٤.

العيسى، سليمان، (٢٠٠٩ م)، «أراجيح تغني للأطفال»، دبي الثقافية.

كنعان، احمد علي، (١٩٩٩)، «ادب الأطفال و القيم التربوية»، دمشق، دار الفكر.

مارون، يوسف، (٢٠١١ م)، «أدب الأطفال بين النظرية و التطبيق. الطبعة الأولى»، لبنان، المؤسسة الحديثة للكتاب.

نجيب احمد، (١٩٩١ م / ١٤١١ ه)، «أدب الأطفال علم و فن»، الطبعة الأولى، القاهرة:،دارالفكر العربى.

الهرفي، محمد¬علي، (٢٠٠١ م / ١٤٢١ ه)، «أدب الأطفال : دراسة نظرية و تطبيقية»، الطبعة الأولى، القاهرة، مؤسسة المختار للنشر و التوزيع.

الهيتى، هادي نعمان، (دون.تا)، «أدب الأطفال . فلسفته و فنونه و وسائطه»، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

الهيتي، هادي نعمان، (١٩٨٨ م)، «ثقافة الأطفال»، الكويت، المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب.